الفصل الثامن عشر:
السيرة الذاتية للنكبة
كيف نُسجت النكبة الفلسطينية؟!

عبد القادر ياسين

لم تهبط القضية الفلسطينية بالمظلة، كما لم تنبت شيطانيًا في الأرض، بل وُلدت القضية بملابسات وحيثيات، في غير قطر، وعلى مدى عقود وعقود.

١- الخلفية التاريخية

فقد تأسست الصهيونية، صيف ١٨٩٨، حين انعقد المؤتمر الصهيوني الأول، في بال بسويسرا، في ذاك الصيف[١]، لكن الحركة الصهيونية لم تستقر على فلسطين موقعًا لمشروع دولتها، إلا بمشورة لندن، الأمر الذي أقره المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥) [٢].

في ١٩١٧/١١/٢ أصدر وزير الخارجية البريطاني، آرثر بلفور، تصريحه، الذي عرف باسم " وعد بلفور "، وفيه وَعَدَ بلفور الحركةَ

(١) أسعد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية/ تنظيمها وأعمالها (١٨٩٧ - ١٩٤٨)**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة " دراسات فلسطينية " (١٥)، تموز/ يوليو ١٩٦٧، ص٢٩ - ٣٥.

(٢) د. محمود حسن صالح منسي، **تصريح بلفور**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠، ص٣٠.

obeikandl.com

الصهيونيةَ بإقامة " وطنٍ قومي " لليهود في فلسطين[١]. وفي العام التالي استكملت القوات البريطانية احتلال فلسطين، وسرعان ما اجتزأتها من الجسد السوري. وفي يوليو/ تموز ١٩٢٢ انتدبت " عصبة الأمم " بريطانيا على فلسطين[٢]، وحثت الصهيونية خطاها من أجل إقامة مشروعها الاستعماري في فلسطين، فيما حابت سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين المستوطنين اليهود ومؤسساتهم، على حساب الشعب العربي الفلسطيني، في شتى المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية. وفي هذا السياق فتح الانتداب أبواب فلسطين لليهود، الذين تدفقوا في موجاتٍ متتالية، كما عمد الانتداب إلى نقل الأراضي الأميرية إلى المستوطنين اليهود ومؤسساتهم [٣].

لم يقف الشعب العربي الفلسطيني مكتوف اليدين، فبدأ بالصدامات المسلحة مع المستوطنين اليهود، وسلطات الانتداب، في استمرار متقطع، سنوات ١٩٢٠ و١٩٢١ و ١٩٢٤ و١٩٢٩ و١٩٣٣ و١٩٣٥، وتوجت هذه الهبَّات والانتفاضات بثورة ١٩٣٦ الوطنية الفلسطينية المسلحة، التي استمرت ثلاث سنواتٍ متصلة.

---

(١) **المصدر نفسه**، ص٧٧ - ١٠١.

(٢) د. كامل محمود خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩**، ط١، طرابلس الغرب، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٢، ص٢٨٤.

(٣) للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

- عادل حامد الجادر، **أثر قوانين الانتداب البريطاني في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين**، بغداد، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٧٦.
- وليم فهيم، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

في مطلع ١٩٣٩ دعت حكومة لندن إلى مؤتمر، بزعم إيجاد حل للقضية الفلسطينية، وبدأ " مؤتمر لندن " اعماله في ١٩٣٩/٢/٧، بحضور وفد عربي فلسطيني، وآخر عن " الوكالة اليهودية "، فضلاً عن الحكومة البريطانية، ووفود عن حكومات مصر، والسعودية، والعراق، واليمن، وشرقي الأردن، واستمرت أعمال المؤتمر حتى ٣/١٧، ولكن دون أن يتوصل إلى حلٍ ما[١].

لأن نذر الحرب العالمية الثانية قد ظهرت في الأفق، فقد سعت بريطانيا لتهدئة الشعب العربي في فلسطين، شأن شعوب بقية المستعمرات البريطانية، حتى تتفرغ بريطانيا للخطر النازي، والحرب القادمة، لذا أصدرت الحكومة البريطانية، في ١٧ مايو/ آيار ١٩٣٩، " الكتاب البريطاني "، الذي وعدت فيه منح فلسطين الاستقلال، بعد عشر سنوات، بعد تقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وانتقال الأراضي للمستوطنين اليهود ومؤسساتهم، ولكن بعد خمس سنوات من صدور هذا الكتاب[٢]!

لوعي القيادة الوطنية الفلسطينية بغرض لندن من " الكتاب الأبيض "، رفضته تلك القيادة، فيما انزعجت الصهيونية، من هذا الكتاب.

اندلعت الحرب العالمية الثانية، في سبتمبر/ أيلول ١٩٣٩، ولم تضع أوزارها إلا بعد ست سنوات متصلة، حيث بدأت مرحلة فرز الأوراق في

(١) إميل توما، **جذور القضية الفلسطينية**، ط٣، دمشق، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، ودار الجليل، ١٩٨٤، ص١٨٧ - ١٨٨

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٨٨ - ١٩٥.

القضية الفلسطينية.

التقطت الصهيونية انتقال مركز الصدارة في المعسكر الاستعماري من بريطانيا إلى الولايات المتحدة، خلال سني الحرب العالمية الثانية، فنقلت الصهيونية مركز ثقلها من لندن إلى واشنطن[١]، ما جعل الأولى تتلكأ في أمر إقامة المشروع الصهيوني في فلسطين، خاصة بعد أن تمخضت الحرب العالمية الثانية - ضمن ما تمخضت عنه - عن تلهف الولايات المتحدة لوراثة بريطانيا وفرنسا في مستعمراتها.

سرعان ما تجلى التحيز الأمريكي للصهيونية عبر مؤتمري الحزبين الأمريكيين الكبيرين - الديموقراطي والجمهوري - غداة الحرب العالمية الثانية، وقد شدد المؤتمران علي ضرورة تهجير مئة ألف يهودي إلى فلسطين، الأمر الذي رفضته حكومة لندن، وأخيرًا تم التوصل إلى تشكيل " اللجنة الأنجلو - أمريكية " (١٩٤٥/١٢/١٠) للبحث في أمر القضية الفلسطينية عمومًا، وفي أمر الهجرة اليهودي إلى فلسطين خصيصًا[٢].

بعد نشاط استمر نحو خمسة أشهر، أصدرت اللجنة توصياتها القاضية بإدخال مئة ألف يهودي إلى فلسطين[٣]، الأمر الذي رفضته

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:
- عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص١٢٧ - ١٢٨،
- عبد القادر ياسين، **كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨**، ط١، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٥، ص٢٠٧.
- د. فلاح خالد علي، **فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩ - ١٩٤٨**، بيروت، مؤسسة الدراسات العربية، ١٩٨٠، ص١٥٧ - ١٦٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٨١ - ٢٠٢.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٢١٠ - ٢٣٠.

لندن.

تفجر الإرهاب الصهيوني ضد الجنود الإنجليز في فلسطين، فمن نسف القطارات، ومراكز الشرطة، إلى خطف الجنود والضباط، وإعدامهم، في سياق الضغط على لندن[١].

فيما اكتفى العرب بعقد قمة عربية، في مزارع الملك فاروق بأنشاص، ٢٨ و٢٩ مايو/ آيار ١٩٤٦. وفيه أعلنوا أن فلسطين " قضية كل العرب "، وعليهم " صوت عروبتها " ! [٢].

من جانبه أعلن رئيس مجلس اللوردات البريطاني، هربرت موريسون، مشروعه لحل القضية الفلسطينية، عبر تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وعلى ضوء هذا المشروع انعقد " مؤتمر لندن "، بوفود مؤتمر ١٩٣٩ نفسها، مضافًا إليها وفد الجامعة العربية هذه المرة. واستمرت الدورة الأولى لمؤتمر لندن، من ٩/١٠ - ١٩٤٦/١٠/٢، دون أن تنتهي إلى نتيجة. الفشل الذي أعيد إنتاجه في الدورة الثانية للمؤتمر (١/٢٨ - ١٩٤٧/٢/٢٤). وأعاد وزير الخارجية البريطاني، إرنست بيفن، فشل المؤتمر إلى ازدواجية تعهدات الانتداب البريطاني، وتدخل واشنطن[٣].

(١) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص١٤١ - ١٥٦.
(٢) مروة جبر، **جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (١٩٤٥ - ١٩٦٥)**، نيقوسيا، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٨٩، ص٢٢ - ٢٣.
(٣) - توما، **مصدر سبق ذكره**، ص٢١٢ - ٢١٣.
- علي، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٣٠ - ٢٤١.

٢- تدشين القضية الفلسطينية

• في ١٩٤٧/٤/٢ أدرجت لندن قضية فلسطين ضمن جدول أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها العادية. بعد أن نصح خبراء وزارة الخارجية البريطانية، بيفن، بتحويل القضية إلى الأمم المتحدة، التي ستعجز عن حلها، بسبب حرص الكتلة الاشتراكية على الوقوف في الموقع المضاد لموقف الولايات المتحدة وحلفائها، عند التصويت على أي قضية، مما يفقد قضية فلسطين الحصول على ثلثي الأصوات اللازمة، فتعود القضية إلى لندن، بعد أن تكون لندن قد قامت بما عليها، ورفعت عنها العتب[١].

انعقدت دورة طارئة للجمعية العمومية للأمم المتحدة، أواخر إبريل/ نيسان ١٩٤٧، وقررت تشكيل لجنة دولية، وصلت فلسطين، في ١٤ و١٥ /٦/ ١٩٤٧[٢]، وامتنعت " الهيئة العربية العليا " في فلسطين عن لقائها، فيما تصاعدت أعمال الإرهاب الصهيوني في فلسطين. وفي ٧/٢٢ قابلت اللجنة الدولية، ممثلي الدول العربية، في صوفر (لبنان)، فقدم وزير الخارجية اللبنانية، حميد فرنجية مذكرة بإسم أولئك الممثلين، دعت إلى مناصرة الحق العربي، وتبعت " الهيئة العربي العليا " فرنجية فيما فعل[٣].

(1) Nicholas bethel, the Palestine triagle - the struggle between the British, the Jews, and the Arabs (1935 - 1948), London, the trinity press, 1979, p. p. 310 - 313.

(٢) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٤١ - ٢٥١.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٢٥١ - ٢٥٤.

• وضعت اللجنة تقريرها، في ٨/٣١، وعرض على الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وتضمن التقرير ضرورة إنهاء الانتداب، ومنح فلسطين الاستقلال، بعد مرحلة انتقالية، وتقسيم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية. فيما رأت أغلبية اللجنة التقسيم السياسي مع الاتحاد الاقتصادي بين الدولتين. ورأت أقلية اللجنة قيام حكومتين مستقلتين، تتآلف منها دولة اتحادية مستقلة[١]. ورفضت " الهيئة العربية العليا " المشروعين، دفعة واحدة[٢].

• تسارعت الأحداث، حتى كان التصويت على مشروع الأكثرية، الذي نال ٣٣ صوتًا، ضد ١٣ صوتًا، وامتناع ١٠ عن التصويت، بينها بريطانيا نفسها، حيث غادر مندوبها في الأمم المتحدة القاعة عند التصويت[٣].

• كانت المفاجأة أن السوفييت استداروا ١٨٠ درجة، وأعطوا صوتهم لتقسيم فلسطين، وهم الذين طالما أعطوا صوتهم لفلسطين مستقلة وديموقراطية. فما الذي حدث حتى غيَّر السوفييت موقفهم هذا؟!.

لقد اتكأ السوفييت هنا، أولاً، على ما ادعاه كبار المسئولين العرب من استحالة تعايش العرب واليهود في فلسطين، كما تأكد السوفييت، ثانيًا، من

(١) **المصدر نفسه**، ص٢٥٦ - ٢٦٠.

(٢) محمد أمين الحسيني، **حقائق عن قضية فلسطين**، ط٢، القاهرة، مكتب الهيئة العربية العليا، ١٩٥٦، ص١٦٧ - ١٧٠.

(٣) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٦٠ - ٢٦٢.

- مصطفى عبد العزيز، **التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨، ص٢٦٧ - ٢٩١.

أن ميزان القوى، آنذاك، لم يكن يسمح للعرب بأكثر من التقسيم فضلاً عن أن التقسيم، ثالثًا، سيفضي إلى انسحاب القوات البريطانية من فلسطين التي ستنال استقلالها، فيما رجَّح السوفييت، رابعًا، أن يفضي الاتحاد الاقتصادي بين الدولتين، العربية، واليهودية، إلى اتحادهما السياسي. دون أن ينفي هذا كله تأثر السوفييت، سلبًا، من وقوع الدول العربية تحت النفوذ الاستعماري، حتى أن وفودها في الأمم المتحدة نأت بنفسها عن الوفد السوفييتي وتحاشت الحديث معه، خشية إغضاب الدول الاستعمارية، بل إن تلك الوفود رفضت مشروعًا لوكيل الخارجية السوفييتية، آنذاك، أندريه جروميكو، ينحاز، إلى حدٍ بعيد، للعرب. كما أن تلك الوفود قاطعت حفل شاي أقامه لها وكيل الخارجية السوفيتية، فشنسكي. وزاد الطين بله تصويت الوفود العربية ضد احتلال أوكرانيا لمقعد في مجلس الأمن الدولي[١].

مع هذا كله، يؤخذ على هذا الموقف للاتحاد السوفييتي أنه، أولاً، انطلق من موقف تجريبي مبتذل، وثانيًا، فإن السوفييت انطلقوا من كون الملمح الأساسي للقضية الفلسطينية هو صراع بريطاني - أمريكي على مناطق النفوذ، وليس قضية تحرر وطني، وثالثًا، فإن السوفييت جانبهم الصواب في تطبيق حق تقرير المصير، إذ أن اليهود ملة دينية وليسوا

(١) لمزيد من التفاصيل حول الأسباب التي حفَّت بالتحول السوفييتي في هذا الصدد، يمكن الاستعانة بـ:

- عبد القادر ياسين، محطات سوء فهم السوفييت وحركة التحرر الوطني العربية، رؤية (غزة)، العدد الرابع والعشرون، السنة الثانية، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٣، ص١٧٦ - ١٨٣.

قومية لتصبح لهم دولة تخصهم، كما أن ليس من حقهم أن يقرروا مصيرهم فوق أرض شعب آخر اغتصبوها.

• اندلعت الاشتباكات بين المقاتلين العرب الفلسطينيين وعناصر العصابات الصهيونية المسلحة الثلاثة (الهاغاناة/ الأرجون/ وشتيرن)، بمجرد صدور قرار التقسيم رقم ١٨١ بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩، ورغم قلة أسلحة المقاتلين الفلسطينيين، وشح ذخائرهم، وتواضع تدريبهم العسكري، فإن الكفة مالت لصالحهم، وحققوا تقدمًا ملحوظًا في القتال، جعل المندوب الأمريكي في مجلس الأمن الدولي، وارن أوستن في ٣/١٩ يطالب بالعدول عن التقسيم[١]. فدفع الاستياء من هذا الموقف الأمريكي القيادة الصهيونية إلى حل إرهابي فريد، فكانت مذبحة دير ياسين ١٩٤٨/٤/٩[٢]، التي كانت مفصلاً بين النجاحات العسكرية العربية، وإخفاقاتها، خاصة بعد أن كانت قوات " الجهاد المقدس " الفلسطينية قد فقدت قائدها عبد القادر الحسيني ١٩٤٨/٤/٨، مع تناقص الأسلحة والذخائر في أيدي المقاتلين العرب الفلسطينيين.

• ثم دخلت جيوش مصر، وشرقي الأدرن، والعراق، وسوريا، ولبنان إلى فلسطين، في ١٩٤٨/٥/١٥، مع آخر جندي بريطاني انسحب من فلسطين، وبعد يوم واحد من قيام دولة إسرائيل [٣].

---

(١) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، الجزئين الرابع والخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينصح بالعودة إلى:
وليد الخالدي، **دير ياسين**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩.

(٣) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، الجزئين الرابع والخامس، صيدا -

• لكن مجموع القوات العربية بالكاد وصل إلى ثلث القوات الصهيونية، وسُدس هذه القوات واحتياطها [١]. مما يعني هزيمة عربية مؤكدة. مع جهل القوات العربية بالأراضي، وبغموض الهدف الذي تقاتل من أجله هذه القوات، وافتقارها إلى القياد الموحدة، والتنسيق فيما بينها، وإلى التدريب العسكري الكافي، والسلاح المتقدم، والذخيرة الضرورية، ناهيك عن ضعف البنية الاقتصادية - الاجتماعية العربية وتشوهها، وخضوعه الأقطار العربية للاستعمار، بهذا القدر أو ذاك، وغياب الديموقراطية، وتوحش القهر الطبقي في الأقطار العربية

٣- مجرى الحرب

• في ١٩٤٧/٩/٦ اجتمعت، في صوفر بلبنان، اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، لدراسة تقرير اللجنة الدولية، ورأت اللجنة السياسية في هذا التقرير خطرًا يهدد السلام والأمن في فلسطين والأقطار العربية، لذا قررت الجامعة مقاومة ذاك التقرير. كما أوصت اللجنة السياسية العربية بمد أهل فلسطين بالمال والسلاح. ووعد رئيس وزراء العراق، آنذاك، صالح جبر بوقف ضخ النفط العراقي إلى الغرب، إذا

بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٠، ص١٣٧، ١٤٥ - ١٤٧.

(١) للمزيد من التفاصيل حول ميزان القوى بين الطرفين، يمكن الاستعانة بالمراجع التالية:

- حاييم هرزوج، **الحروب العربية - الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٨٢**، ترجمة بدر الرفاعي، القاهرة، دار سينا، ١٩٩٣، ص١٣ - ٢٢.

- لواء حسن البدري، **الحرب في أرض السلام**، القاهرة - بيروت، دار الوطني العربي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦، ص٩ - ١٠، ٨٢.

- لواء إبراهيم شكيب، **حرب فلسطين ١٩٤٨/ رؤية مصرية**، القاهرة، الزهراء للإعلام المصري، ١٩٨٦، ص١٩٧ - ٢٠٤.

تجاوبت السعودية مع هذا التوجه! [١]

- انعقد مجلس الجامعة العربية، في بيروت، في ١٠/٧، وتابع اجتماعاته في عاليه (لبنان)، حتى منتصف الشهر نفسه. واطلع المجلس على تقرير للجنة الفنية العسكرية، التي قررت اللجنة السياسية للجامعة تشكيلها، جاء فيه أن المنظمات العسكرية الصهيونية تضم ما لا يقل عن ستين ألف مقاتل، جيدي التسليح والتدريب، مع ضباط ذوي كفاءة عالية، بعكس العرب الذين يشكون من قلة السلاح، والتدريب، والضباط. وانتهت اللجنة الفنية بتوصية الدول العربية بحشد قوات لها على الحدود مع فلسطين، مع تشكيل قيادة عربية موحدة، يرصد لها ما لا يقل عن مليون جنيه، كدفعة أولى. وعليه قرر مجلس الجامعة تنفيذ مقررات بلودان السرية! في حال المساس بحق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة [٢].

- اتخذت اللجنة الفنية العسكرية إياها من دمشق مقرًا لها، وأخذت تجنِّد المتطوعين، في معسكر قطنا، قرب دمشق، وتدربهم.

- في الأسبوع الثاني من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧، عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية جلسات عدة، في القاهرة، انتهت إلى إذاعة بيان، في ١٢/١٧، استنكر قرار تقسيم فلسطين، وأضاف مليون جنية للإنفاق على التعبئة والتطوع، وإرسال ثلاثة آلاف متطوع،

(١) علي، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٥١ - ٢٥٢.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٥٣ - ٢٥٤.

إلى فلسطين، على وجه السرعة [١].

- سرعان ما شكلت اللجنة الفنية العسكرية تنظيمين، أولهما حمل اسم " جيش الانقاذ "، وتولي قيادته ابن طرابلس الشام، فوزي الدين القاوقجي[٢]، أما التنظيم الثاني فحمل اسم " الجهاد المقدس "، وأشرفت عليه " الهيئة العربية العليا بفلسطين "، وتولى قيادته عبد القادر الحسيني [٣].

- في ٢/١٧ كانت أول هجمة عربية لجيش الإنقاذ، على مستعمرة نيراب تسيفي (الزراعة)، اخفقت في احتلالها [٤].

- هنا عمد الصهاينة إلى التوسع في الإرهاب، فنظموا مذبحة دير ياسين الشهيرة (١٩٤٨/٤/٩). وهي التي أساء الإعلام العربي استخدامها، فأوقع الرعب في قلوب العرب الفلسطينيين، في الوقت الذي استشهد عبد القادر الحسيني (٤/٨)، وشحت الأسلحة والذخائر، في أيدي المناضلين العرب؛ فلسطينيين وغير فلسطينيين، فبدأ ميزان القوى في الميل لصالح الصهاينة، بإطراد. وأخذت المدن الفلسطينية تتساقط كأوراق

---

(١) **المصدر نفسه**، ص٢٦٣.

(٢) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها.**

- جبر، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٥ - ٥٧.

(٣) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص١٢٥.

- إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى/ اغتيال فلسطين ومحق العرب**، ط١، القاهرة، إصدار خاص، ١٩٥٥، ص٢٠٥ - ٢٠٦، ٢٠٤ - ٢٢٢.

(٤) للمزيد من التفاصيل حول هذه المعركة يمكن الرجوع إلى:

- **مذكرات فوزي القاوقجي ١٩٧٧ - ١٩٩٠**، د. خيرية قاسمية (إعداد)، ط٢، دمشق، دار النمير، ١٩٩٦، ص ٣٤٩ - ٣٥١.

- شكيب، **مصدر سبق ذكره**، ص٩٦.

الخريف.

- في ٤/١٢ قررت اللجنة السياسية للجامعة العربية دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، بمجرد جلاء القوات البريطانية عنها (٥/١٥). وتم اختيار ملك شرقي الأردن، عبد الله بن الحسين قائدًا عامًا لتلك الجيوش.

- نشرت يومية اليافية حديثًا للملك عبد الله، ذكَّر فيه بما سبق أن قاله لوفد الجامعة العربية: ".... إن جنح القوم - أعني يهود فلسطين - إلى السلم، فسنجنح لها... ولايزال أمر السلم في يد اليهود، إن هم شاؤوا، ونزلوا عن غلوائهم، ورضوا بما يمكن أن يكون مرضيًا للعرب " ![1]

- فيما أذاع الأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام باشا، بيانًا، أكد فيه أن " كل دور من أدوار هذه المعركة الفلسطينية محسوب للقيادة العسكرية ". وحذَّر المشككين في أمر النظام السياسي العربي وجامعته، " التي سيتضح، يومًا ما نضالها مع الفلسطينيين، ووراء الفلسطينيين، من الناحية العسكرية والسياسية " ![2].

وقد أوصى رئيس جمهورية لبنان، بشارة الخوري، بالأمل، والصبر، والأناة، وإسعاف اللاجئين، وأكد بأن العرب مجهزون بأحدث السلاح، وأفتك العتاد! وأشار رئيس وزرائه، رياض الصلح إلى " أن الجامعة قد دبرت كل أمر، وأعدت لكل شيء عدته " [3]. أما رئيس وزراء سوريا،

---

(١) **فلسطين** (يافا)، ١٩٤٨/٤/٢٢.
أوردها: دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص١٤٢ - ١٤٣.
(٢) **المصدر نفسه**، ص١٤٣ - ١٤٤.
(٣) **المصدر نفسه**، ص١٤٤

جميل مردم بك، فشدد على " أن العرب مصممون على المضي في خططهم، وتدابيرهم مستمرة، حتى ينال العرب ما يطلبون من حقوق مشروعة، إلخ.... " [١].

- جزع مستوطنو القدس، وهددوا قيادتهم السياسية بالتسليم للعرب، الذين يحاصرونهم، لكن تلك القيادة وعدتهم خيرًا، بناء على مفاوضات تجري مع أطراف عربية!

- في ٤/١٦ اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، في نيويورك، في محاولة لفرض الهدنة، وتشكلت لجنة هدنة، في ٤/٢٣ [٢].

- في ٥/١٤ تمت الموافقة على الاقتراح الأمريكي بتعيين وسيط دولي، تختاره الدول الخمس الكبرى، بهدف تنظيم المصالح المشتركة، والتعاون مع لجنة الهدنة، وإدارة وتنسيق المنظمات الاختصاصية التابعة للأمم المتحدة. ما اعتبر - في مجمله - نقضًا لقرار التقسيم.

- ضنَّت الدولة العربية على المقاتلين العرب - فلسطينيين وغير فلسطينيين - نحو عشرة آلاف مقاتل بالمساعدات المالية والعسكرية.

- في ٥/١٣ اجتمعت وفود الدول العربية ومندوبو جيوشها الخمسة، في قصر رغدان الملكي في عمان، ووضعوا اللمسات الأخيرة في خطة الحرب.

---

(١) **المصدر نفسه، الصفحة نفسها.**

(٢) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، المجلد الثالث، دمشق، ١٩٨٤، ص٤٧٠ - ٤٧١.

obeikandl.com

• في اليوم نفسه سقطت مستعمرة كفار عتسيون، قرب القدس، وفي اليوم التالي سقطت مستعمرات ريفاديم/عين تسورين/ باب فورت يتسحق، القريبة من كفار عتسيون [١].

• في ٥/١٣، أيضًا، توجه البكباشي (المقدم) أحمد عبد العزيز من مصر إلى فلسطين، على رأس قوة متطوعين مصرية، بدأت باحتلال العوجة، ووصلت إلى الخليل (٥/٢١)، وبيت لحم (٥/٢٤)، حيث احتلت مستعمرة رامات راحيل، وإن انسحبت منها [٢].

• في ٥/١١ أعلنت الحكومة المصرية الأحكام العرفية (القانون ٧٣ لسنة ١٩٤٨)، وشنت حملة اعتقالات واسعة ضد المنظمات السياسية المصرية [٣].

• في منتصف ليلة السبت، (١٤، ٥/١٥)، وقعت ثلاث حوادث بالغة الأهمية، أولاها مغادرة المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا. وثانيها إعلان قيام دولة إسرائيل. وثالثها زحف الجيوش العربية (المصرية/ الأردنية/ السورية/ اللبنانية/ والعراقية) على فلسطين، " لإنقاذها " ! وأذاع الملك عبد الله بيانًا، باعتباره القائد العام لهذه الجيوش، قال فيه: " إننا قد عقدنا الخناصر على أن نخوض المعركة، حتى نهايتها،

(١) - هرزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص٤١ - ٥٠.
- البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٢ - ٢٢٥.
(٢) البدري، **مصدر سبق ذكره**، ص١٠٩، ٢٤٩، ٢٦٤ - ٢٦٦.
(٣) - **المصري** (القاهرة)، ١٩٤٨/٥/١٢.
- طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

فإما أن نعيش شرفاء، كرامًا، وإما أن تفنى الأمة العربية عن آخرها ". ثم توالى تقدم الجيش المصري، وإن بصعوبة [١].

فقد اجتازت القوات المصرية الحدود الساعة ٢٣٥٩ من مساء يوم ١٩٤٨/٥/١٥، بقيادة الأميرآلاي أحمد علي المواوي، واشتبكت، في اثناء تقدمها مع مستعمرتي الدنجور، وكفارداروم.

وفي ١٦ و٥/١٧ أغارت الطائرات المصرية على مطار تل نوف، ومحطة ريدبخ، ومصنع منشي زكي في منطقة تل أبيب، وكفار سيركين، ورامات ديفيد، وميناء تل أبيب، ومعسكر يونا شمالاً. وفي اليوم ٥/١٧ صدر أمر بتعيين المواوي حاكمًا عسكريًا لمنطقة الاحتلال. وفي اليوم التالي جرت عمليات التطهير والغارات الجوية على أهداف عسكرية في تل أبيب، فضلاً عن شن هجمة على مستعمرة بيري، جنوب شرقي غزة. وفي اليوم نفسه احتلت القوات السورية سمخ، وفي اليوم التالي دخلت القوات المصرية بلدة بيت حانون، ومدينة بئر السبع العربيتين. وهاجمت دير سنيد، التي احتلتها تلك القوات يوم ٥/٢٤.

بعد يومين اثنين دخلت القوات المصرية مدينتي المجدل والخليل العربيتين. في اليوم التالي أغارت الطائرات المصرية، بطريق الخطأ، على مطار رامات ديفيد البريطاني، ففُقد اثنان من الطيارين المصريين، وخمس طائرات. وفي اليوم نفسه دخلت القوة المصرية الخفيفة بيت لحم، كما تحركت سرية من الحرس الملكي المصري إلى فلسطين. وفي اليوم

(١) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص١٤٩ - ١٥٠.

٥/٢٤ ضبطت مباحث القوات المصرية صهيونيين يحاولان تلويث مياه شرب الجيش المصري بميكروب التيفوس والدوسنطاريا. وفي اليوم نفسه تحركت مقدمة القوات السعودية إلى فلسطين. كما دخلت القوات المصرية إلى عراق السويدان. في اليوم التالي احتلت القوات المصرية مستعمرة رامات راحيل. وفي ٦/٧ احتلت القوات المصرية مستعمرة نيتسالم. وبعد يومين احتلت القوات المصرية برينحاس، وترقوميا. كما تحركت قوة من المتطوعين السودانيين إلى فلسطين.

لم يكد يمض إثنا عشر يومًا على الزحف، حتى كانت الجيوش العربية تسيطر على المناطق العربية المخصصة للدولة العربية في قرار التقسيم، مع بعض الاستثناءات. واسترد الجيش الأردني ما كان وقع في أيدي العصابات الصهيونية المسلحة من مناطق في القدس (٥/٢٨)، واستمرت الجيوش العربية تراوح مكانها، إلى يوم ٦/١١، حين قبل العرب بالهدنة، التي فرضها مجلس الأمن الدولي، والتي امتدت حتى ٧/٨، وخلالها ازداد وضع القوات المصرية سوءًا، فيما أعاد الصهاينة تنظيم صفوفهم، وعززوا وحدة جبهتهم الداخلية، ورفعوا مستوى استعداداتهم العسكرية، وتدفقت عليهم الأسلحة، والذخائر من الغرب الاستعماري، الذي حجبها عن العرب!.

الانحدار

ثم كانت الهدنة الثانية من ١٩٤٨/٧/١٨ إلى ١٩٤٨/١٠/١٤، والهدنة الثالثة من ١٠/٣١ - ١٩٤٨/١٢/٢١، والهدنة الرابعة من ١/٧ - ١٩٤٩/٣/٦، وفي أعقاب فترات الهدنة سابقة الذكر تأكدت الهزيمة

العسكرية العربية، التي اعتبرها الخبير الاستراتيجي المصري المعروف، اللواء حسن البدري بحق، " بداية النهاية ".

لقد انتهك الإسرائيليون الهدنة الأولى لمئة وخمسين مرة، ما مكنهم من احتلال قرى: بيت طيما، وكوكبا، وبيت دراس.

في ١٤ و٦/١٥ اجتمع رؤساء الأركان العرب في القاهرة، وفي اليوم التالي التقوا الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الرحمن عزام باشا، وفيما بين ٢٢ و٦/٢٤ زار الملك عبد الله بن الحسن مصر.

في يوم ٦/٢٧ قدم الوسيط الدولي، الكونت فولك برنادوت، مقترحاته لحل الصراع العربي - الإسرائيلي، بعد أن كان مجلس الأمن عينه في موقعه هذا، في ٥/٢٠.

وفي ٧/٦ تفقد الملك فاروق الجبهة. وفي اليوم نفسه كانت عملية قرية بيت دراس.

وفي ٨ - ٧/٩ عملية كوكبة، و٧/٩ عملية تبَّة الجيش.

في يوم ٩ و٧/١٠ استولت القوات المصرية على مستعمرة كفار داروم، لكن مدينتي اللد والرملة سقطتا (٧/١٢) في أيدي القوات الإسرائيلية، وفي ٧/١٥ شنت غارة جوية إسرائيلية على القاهرة، وردت الطائرات المصرية بغارة جوية على تل أبيب، في اليوم التالي.

وفي ٧/١٧ احتلت القوات الإسرائيلية العسلوج، وانسحبت القوات الأردنية من بيت لحم، وفي اليوم التالي نجحت القوات المصرية في استرداد العسلوج، وإن أعاد الإسرائيليون احتلالها، في ٧/٢٢.

وخلال يومي ١٧ و٧/١٨ بدء العمليات في منطقة الفالوجه - كراتية - حتة. وعلى مدى يومي ٢٧ و٧/٢٨ اندلعت صدامات مسلحة بين القوات المصرية والإسرائيلية، في عراق المنشية والفالوجة.

وغطت أيام ٦ - ١٠/١٥ تحرشات إسرائيلية بالجيش المصري.

وفي ١٠/١٦ فشل هجوم إسرائيلي على عراق المنشية والفالوجة، وعراق سويدان، وتبَّة الجيش. وهجوم آخر، في ١٠/١٨، على كوكبة، وبيت حانون.

في ١٠/٢٠ استولى الإسرائيليون على حليقات، وفي اليوم التالي على بئر السبع. في الوقت الذي اغرق طوربيد إسرائيلي السفينة المصرية " فاروق ".

وابتداء من ١٠/٢٤ بدأ حصار الإسرائيليين للقوات المصرية بالفالوجة. وخلال ٢٧ - ١٠/٢٨ تم الانسحاب المصري من بيت جيرين إلى الخليل، ومن أسدود ونيتساليم. كما تم ٣ - ١١/٤ الانسحاب المصري من أسدود والمجدل.

واجتمع رؤساء الأركان العرب، في القاهرة (١١/١٠)، لبحث الموقف. وفي اليوم التالي حل اللواء أحمد فؤاد صادق باشا محل الأميرآلاي أحمد علي المواوي في قيادة القوات المصرية بفلسطين. وقد رقي الأخير إلى رتبة لواء، في ١٩٤٩/١/١، وعين مديرًا لسلاح المشاه!

توالت المعارك بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية تبة الشيخ نوران (٥ - ١٢/١٠)/ محاولة قطع طريق غزة - رفح (٢٢ - ١٢/٢٥)/

العسلوج والعوجة (٢٥ - ١٢/٢٦)/ الهجوم على العريش (٢٧ - ١٢/٣١)/ ثلاث هجمات على رفح (١ - ١٩٤٩/١/١١)، بعد أن كانت القوات المصرية أخلت، في ١١/١٥، المجدل، ودير سنيد، وهربيا، فاحتلها الإسرائيليون، بدون أي جهد.

في ١٩٤٩/١/٧ تم وقف إطلاق النار، وأعلنت هدنة جديدة.

المحصِّلة

استلمت الجيوش العربية فلسطين، وما بين ٨٠ و٨٢ في المئة من أراضيها مع العرب، وعقدت الدول العربية اتفاقات الهدنة مع إسرائيل، فيما لم يبق للعرب، سوى ٢٢ في المئة، فقط، من أرض فلسطين في أيدي العرب.

وهذا أحد قادة الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، يقرر أنه بعد قبول العرب الهدنة الثانية، وخسر العرب المركز الحربي الحسن، الذي كان لهم قبل استئناف القتال، وخسروا فوقه نحو ربع المنطقة العربية التي كانت في يدهم " [١].

صحيح أن مدنًا عربية فلسطينية قد سقطت، حين أرجأت الجيوش العربية دخولها إلى ١٩٤٨/٥/١٥، وهذه المدن هي: طبريا (٤/١٩)، حيفا (٤/٢٣)، سلحه ويازور (٤/٣٠)، بيسان وصفد (٥/١٢)، تل الجزر (٥/١٣)، برير، يافا (٥/١٤) [١].

(١) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٦٢.

(١) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، دمشق، ١٩٨٤، المجلد الأول، ص٣٩٢، ٤٩٠،

لكن في وجود الجيوش العربية، سقطت أيضًا كل من: دير أيوب واللطرون (١٥ و٥/١٦)، وعكا (٥/١٦)، وقرى ياسور، والجسير، والعسلوج، وحليقات، وجوليس (٦/١١)، والقطاونة، وعديس، وسمسه، وكوكبة (٦/١٢)، ومدن اللد، والرملة (٧/١٢)، والناصرة (٧/١٥)، وبيت عفة وحليقات (١٠/٢٠)، وبئر السبع (١٠/٢١)، كما نجحت القوات الإسرائيلية في فرض حصار محكم على القوات المصرية في الفالوجة (١٠/١٤).

التسليم بإسرائيل

في ١٩٤٨/٦/٢٧ تقدم الوسيط الدولي، الكونت فولك برنادوت بمشروع يرمي إلى قيام اتحاد عربي - يهودي في شرق الأردن، وفلسطين، على أن تبقى القدس منطقة مستقلة، ذاتيًا، ومعها حيفا واللد. ورفض كل من العرب والصهاينة هذا المشروع[1]. وفي ٩/١٧ اغتالت عناصر من عصابة " شتيرن " الصهيونية برنادوت، ومساعده الفرنسي، العقيد أندريه سيو. فنكَّست الدول العربية أعلامها، حدادًا على برنادوت [1].

في باريس انعقدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، في ٩/٢٠، وقرر

المجلد الثاني، ص٣٦ - ٣٧، ٣٠٨، المجلد الثالث، ص٢٩، ١٠٢، المجلد الرابع، ص٦٠٣، ٦٢١.

- شكيب، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٠ - ١٠٧، ١٠٧

- الغوري، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٦٢ - ٢٦٨.

(١) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(١) **المصدر نفسه**، ص٢٠٧ - ٢٠٨.

- شكيب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠٩.

تعيين " لجنة توفيق " من ثلاثة أعضاء يختارهم الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن. في ٩/٢٣ عمدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية إلى تشكيل " حكومة عموم فلسطين ". وسرعان ما انعقد، في غزة، المجلس الوطني الفلسطيني، في ١٩٤٨/١٠/١، وأعلن استقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة، وأقر المجلس دستورًا لهذه الدولة، واختار علمًا لفلسطين [١].

في اليوم نفسه انعقد، في عمان، مؤتمر فلسطيني مضاد، برئاسة الشيخ سليمان الناجي الفاروقي، بهدف سحب الأرض من تحت المجلس الوطني الفلسطيني. تبعه مؤتمر آخر، حمل اسم " مؤتمر أريحا "، في ١٢/١، طالب الملك عبد الله بضم شرق فلسطين إلى شرقي الأردن [٢].

في ١٩٤٨/١٢/٢٢ أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها رقم ١٩٤، وتضمن تشكيل " لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين "، وأوكلت إليها إعادة اللاجئين وتعويضهم، وتشكلت اللجنة من فرنسا، وتركيا، والولايات المتحدة [٣].

في ١٩٤٩/١/٨، أعلن، في ليك سكس، أن الحكومة المصرية، وإسرائيل اتفقتا على وقف إطلاق النار، وعلى أن تبدأ محادثات في رودس، في ١/١٢، على يد الوسيط الدولي، رالف بانش. وسرعان ما

(١) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩٠ - ١٩٤، ٢١٠ - ٢١٣.
(٢) **المصدر نفسه**، ص ٢١٣ - ٢١٤.
(٣) هان - إيف أولييه، **لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥١، حدود الرفض العربي**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ص ١ - ٢، ١٠ - ٢١.

عقدت مصر اتفاقية هدنة مع إسرائيل، في رودس، في ٢/٢٤، وتبعها لبنان (٣/٢٣)، فالأردن (٤/٣)، وأخيرًا سوريا (٧/٢٠) [١].

في ١٩٤٩/٣/٢١ دعت " لجنة التوفيق " الحكومات العربية، إلى مؤتمر، عقد في بيروت (٣/٢١). حيث عرضت الحكومات العربية آراءها بصدد قضية فلسطين واللاجئين. وأقامت اللجنة مكتبًا لها في نيويورك، ١٩٥٢، وبدأت تسعى لإحصاء أملاك اللاجئين، لكن إسرائيل عرقلت محاولات " لجنة التوفيق " في هذا الميدان [٢].

بناءًا على دعوة من اللجنة، التأم " مؤتمر لوزان "، يوم ١٩٤٩/٤/٢٦، الذي انتهي بتوقيع إسرائيل " بروتوكول لوزان "، في ١٩٤٩/٥/١٢، مما أسهم في قبول إسرائيل في الأمم المتحدة، بعد أن تعهدت إسرائيل تنفيذ القرار ١٩٤ للأمم المتحدة*، والتقيد بالتقسيم،

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول مفاوضات الهدنة، والاتفاقات التي تمخضت عنها، يمكن الاطلاع على:
- وليد الخالدي، **خمسون عاما على حرب ١٩٤٨**، بيروت، دار النهار، ١٩٩٨، ص ١٢٩ - ١٥٢.
- د. محمود متولى، **اتفاقية رودس بين العرب وإسرائيل (١٩٤٩)**، القاهرة، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

(٢) إيف أوليبيه، **مصدر سبق ذكره**.

(*) صدر **القرار ١٩٤** عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، بتاريخ ١١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٨، ويتكون من ١٥ بندًا، وهو قرارٌ خاصٌ بآلية تسوية الصراع العربي - الإسرائيلي، فركزت البنود السادس والسابع والثامن منه، على التعامل مع القضايا الآنية، التي نتجت عن الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، ومنها العمل على أن تبقى محاور الوصول إلى الأماكن المقدسة - بما فيها الناصرة - مفتوحة، في القدس وبيت لحم، وإدارة مدينة القدس، التي سوف تكون - وفقا لقرار التقسيم - واقعة تحت سيطرة الأمم المتحدة. وتم تعريف نطاق إدارة الأمم المتحدة، على أنها تشمل بلدية القدس، والقرى، والمدن المتاخمة لها، والتي تشمل قرية أبو ديس، في الشرق، وبيت لحم في

وتدويل القدس. وإن أدارت إسرائيل لذاك البروتوكول ظهر المجن. وانتهى الأمر بأن أوصى مجلس الجامعة العربية الدول العربية بإبلاغ مبعوث اللجنة، د. جوزيف جونسون بفقدان الأمل في اللجنة. لكن بعد أن كانت الدول العربية قد اعترفت، ضمنًا، بدولة إسرائيل[1]. وأرخت النكبة أستارها. وتتالت التداعيات في الدول العربية، فقام حسني الزعيم بانقلابه في سوريا (١٩٤٩/٣/٣٠)، واغتيل رئيس وزراء لبنان، رياض بك الصلح (١٩٥١/٧/١٧)، وبعده بأربعة أيام اغتيل الملك عبد الله، ثم كانت ثورة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ في مصر.

وبذا تكرست النكبة الفلسطينية وأرخت أستارها، وما تبقى مجرد تفاصيل، وذيول، وتداعيات.

* * *

الجنوب، وعين الكرم في الغرب، والشوفات في الشمال. وفي البند العاشر، يطلب القرار من لجنة المصالحة، أن تتخذ الإجراءات التي تكفل تسهيل الحياة الاقتصادية، والوصول إلى الموانئ، والمطارات، واستخدام وسائل المواصلات، والاتصالات. فيما اختص البند الحادي عشر منه، باللاجئين، وحدد أن اللاجئين « الذين يريدون العودة إلى منازلهم، والعيش في سلام مع جيرانهم، يجب أن يسمح لهم بالعودة، في أقرب وقت عملي ممكن، وأن يدفع التعويض عن الممتلكات، لهؤلاء الذين يقررون عدم العودة، أو للضرر في الممتلكات، وفقًا للقانون الدولي ». واضطرت إسرائيل، للقبول بذلك القرار، ليكون مسوغًا لقبول شرعية وجودها كدولة، في الأمم المتحدة، والمجتمع الدولي، ولهذا السبب، بالتحديد، فقد رفضت الدول العربية، آنذاك، القبول بذلك القرار.

(١) دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٨ - ٢٦٠.